واحد، يبتدىء، وينتهي، باجتثاث الخطر الصهيوني من على أرضنا...

«أمّا نحن، فقد تحرّكنا من منطلق فلسطيني مرتبط بتربة الوطن...».

وظل هذا القول، أو هذا المقياس، أو هذا الدافع، أي من منطلق فلسطيني مرتبط بتربة الوطن، هو البوصلة التي توجّه سفينة الثورة الفلسطينية، ويكتشف قادتها بها طريقهم وسبيلهم.

ان التحرك من منطلق فلسطيني مرتبط بتربة الوطن معناه الاستقلال، بداية، عن كل تحرّك آخر سبقه، أو لحقه، لمواجهة العدو الصهيوني. ولقد أدى هذا التمسّك بالاستقلال الى انجازات أساسية على الساحة الفلسطينية، قد لا يدرك مغزاها، وقوّتها، الذين لم يواجهوا، في اقطارهم، مشكلة عدم وجود بنية مستقلة لوطن مستقل.

لقد أدّى التمسّك بالاستقلال، بداية، الى تأكيد ضرورة الوحدة الوطنية الفلسطينية، وضرورة التقاء كل القوى الفلسطينية. واصبح التمسك بالاستقلال هو المعيار الذي تقاس به مواقف القوى السياسية الفلسطينية وارتباطاتها بدول، أو حركات سياسية أخرى.

كذلك أدىّ التمسّك بالاستقلال، منذ البداية، الى تأكيد أولوية العمل من أجل فلسطين، أي على ضرورة تفادي الصراعات مع غير العدو الصهيوني، وضرورة تكتيل كل القوى الاقليمية، والعالمية، مهما كان الاختلاف معها، لمحاصرة العدو الصهيوني، تطبيقاً لقاعدة توحيد جهود الأصدقاء وشقّ صفوف الأعداء. وفي هذه الحالة، فان التوحيد يدور حول محور مستقل يسمح بتوسيع دائرة القوى التي تلتف حوله، وهو الطرف الفلسطيني الذي انطلقت من تربته الوطنية هذه الثورة.

وكما سمح الاستقلال ببناء الوحدة الوطنية الفلسطينية والمحافظة عليها، وبعدم التورّط في المحاور العربية والدخول في صراعاتها، وبتوسيع الجبهة العالمية ضد العدو الصهيوني، فقد أبرز الاستقلال، ولأول مرة في الصراع ضد العدو الصهيوني، منذ مطلع القرن، النقيض الفلسطيني المواجه للعدو الصهيوني، وأعاد فلسطين الى ذاكرة العالم، وحقق تواجدها في الهيئات الدولية، والاقليمية. وبذلك قطع الطريق على الدعوى الصهيونية التي كانت تنكر وجود فلسطين، ووجود الشعب الفلسطيني، حتى لم يعد من بين الصهيونيين من ينكر هذا الوجود، الاّ الغلاة منهم. حتى دعاوى اريئيل شارون ومجموعته الذين يروّجون، الآن، لفكرة نقل الشعب الفلسطيني الى شرق الأردن، وفكرة اقامة دولة فلسطينية على الجانب الشرقي من النهر، يقرّون، ضمناً، بوجود الهوية الوطنية الفلسطينية، ويتصورون أن في امكانهم التخلص من هذه الهوية بتصديرها الى بلد آخر، وهي أفكار لا ترضي الصهيونيين الأول، ولا تتفق مع دعاياتهم؛ فأولئك كانوا، وما زالوا، يعرفون ان استمرار اسم فلسطين هو، في ذاته، هزيمة لهم.

من هنا، يمكن تقويم الخطوة الجريئة التي قام بها المجلس الوطني الفلسطيني، في دورته التاسعة عشرة، باعلانه دولة فلسطين المستقلة، وكيف أدّى ذلك الى اعتراف أكثر من مئة دولة في العالم بهذه الدولة الوليدة، وهو ما يعني، فعلياً، عدم الاعتراف بالوجود الصهيوني، بشكله الحالي على الأقل، على أرض فلسطين. وبغض النظر عن أن الولايات المتحدة الأميركية لم تعترف، بعد، بدولة فلسطين المستقلة، فان هذا التحرك السياسي الكبير قد دفع الرئيس الاميركي الى التصريح بضرورة انهاء الاحتلال الاسرائيلي لأراضي الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، وجعل وزير الخارجية الأميركية ينصح الصهيونيين بالتخلّي عن حلم اسرائيل الكبرى، وهو انجاز سياسي كبير، لا بدّ من تطويره،